خبز الحياة وغذاء النسور

تمهيد:

قال الرب يسوع لتلاميذه، في مَعرِض حديثه معهم عن علامات نهاية الزمان: «لأنه حيث تكون الجثة هناك تجتمع النسور» (مت ٢٤: ٢٨؛ لو ١٧: ٣٧). تُرى أيَّ جثة كان يقصدها الرب؟ ومن هي تلك النسور؟ وماذا يطلبون؟

لاشك أن النسور، وهي أقوى الطيور المحلّقة في الفضاء، حينما ترصد بنظرها الثاقب موضع غذائها وطعامها الذي تحتاجه، وما احتملت من أجله عناء الطيران والسعي، فسرعان ما تَنْقَضُّ عليه بسرعة فائقة، لا يعُوقها في سبيل ذلك شيءٌ حتى تشبع منه؛ لأن فيه يكمنُ سرُّ حياتها وبقائها. ويصوِّر لنا حبقوق النبيُّ هذا المنظر بالروح فيقول: «وَيَطِيرُونَ كَالنَّسْرِ الْمُسْرِعِ إِلَى الأَكْلِ...» (حب ١: ٨). فالنسور هنا تشير إلى كلِّ النفوس المُلتهِبة بالحبِّ، والمملوءة بقوة الروح والاشتياق إلى الله، والجوع لكلمته ووصاياه، والعطش لعمل نعمته وعشرته، والمترقِّبة سرعة ظهوره ومجيئه.

ولكن، تُرى أين هي هذه الوليمة أو الذبيحة أو (الجثة)، التي ستجتمع حولها كلُّ تلك النسور الجائعة والعطشى؟ لقد سأل إسحق أباه إبراهيم قديمًا، بقوله: «يَا أَبِي! فَقَالَ: هَأَنَذَا يَا ابْنِي. فَقَالَ: هُوَذَا النَّارُ وَالْحَطَبُ، وَلكِنْ أَيْنَ الْخَرُوفُ لِلْمُحْرَقَةِ؟ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: اللهُ يَرَى لَهُ الْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ يَا ابْنِي» (تك ٢٢: ٧، ٨)؛ فنرى هنا أن إبراهيم لم يقدِر أن يعطي ولده جوابًا قاطعًا، لأنه احتار في أمر هذه الذبيحة أو الفِديَة عن ولَدِه! وهناك كثيرون آخرون بحثوا عن مصدر غذائهم وشبعهم وارتواء نفوسهم مثل المرأة السامرية؛ التي طلبت من الرب يسوع – قبل أن تتعرَّف عليه – أن يرشدها إلى الماء الحيِّ بقولها له: «يَا سَيِّدُ أَعْطِنِي هذَا

الْمَاءَ (الماء الحيّ)، لِكَيْ لاَ أَعْطَشَ وَلاَ آتِيَ إِلَى هُنَا لأَسْتَقِيَ» (يو٤: ١٥). وبنفس الأسلوب والعبارات طلب التلاميذ من الرب يسوع أن يعطيهم هذا الخبز ليشبعوا منه بقولهم: «يَا سَيِّدُ، أَعْطِنَا فِي كُلِّ حِينٍ هذَا الْخُبْزَ» (يو ٦: ٣٤). ومرة أخرى سأله تلاميذه عن خبزٍ لإشباع الجموع التي كانت تتبعه، وقدَّروا حاجتهم من الخبز بحوالي مِئتَيْ دينار لكفاية تلك الجموع، حيث كانت عيونهم مُغلَقة عن رؤية خبز الحياة القائم في وسطهم! وهذا هو ما فعلته أيضًا الجموع التي كانت تتبعه، والتي قال الرب عنها: إنهم لا يتبعون بسبب الإيمان أو رؤية عظائم الله، بل لأنهم أكلوا من الخبز (الأرضي والبائد) وشبعت أجسادهم، أمَّا هم فبعيدون عن الرب بقلوبهم، وقد أُخفيَ عنهم خبزُ حياتهم الحقيقي، حسب قول الكتاب المقدَّس: «إِنَّكِ لَوْ عَلِمْتِ أَنْتِ أَيْضًا حَتَّى فِي يَوْمِكِ هذَا مَا هُوَ لِسَلاَمِكِ. وَلكِنِ الآنَ قَدْ أُخْفِيَ عَنْ عَيْنَيْكِ» (لو ١٩: ٤٢). وعلى تساؤلات كل هؤلاء، كانت إجابة يسوع الواضحة: «أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فَلاَ يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلاَ يَعْطَشُ أَبَدًا» (يو ٦: ٣٠)، وأيضًا: «أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هذَا الْخُبزِ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ. وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ» (يو ٦: ٥١).

فالرب يسوع كان يصرُّ دائمًا على إيضاح وتنبيه قلوب تلاميذه (النسور المحلِّقة حوله)، إلى أنه هو بذاته الخبز الحيُّ النازل من السماء، المعطي الحياة للعالم، وأنه هو غذاء النسور الروحية الحقيقي، بل وغذاء العالم كله. كذلك كان الرب حريصًا على إيضاح أن هذا الخبز النازل من السماء، ليس سوى جسده المرفوع على الصليب والمُثخَن بالجراح لأجل خلاص العالم، وهو نفسه الحاضر قدَّامنا على المذبح كل يوم لتغتذي منه كلُّ النسورِ التائقة للحياة الأبدية، إتمامًا لقول الرب: «... فَمَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي» (يو٦:٥٧).

النسور الروحية، ومولود المذود:

كَمَلَ الزمان وأرسل الله ابنه مُشتهَى الأمم إلى العالم الجائع والمتعطِّش إلى خبز الحياة، حتى تشبع وترتوي به كل النفوس الباحثة عن خلاصها وحياتها الأبدية. فقد أشرق الرب بنوره في وسط الظلمة. ليضيء حياة الساكنين على الأرض ببشارة النجاة والخلاص ورجاء العودة للمجد والملكوت الأول، كما هتف إشعياء النبيِّ بقوله: «الشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا

عَظِيمًا. الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلاَلِ الْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ... لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ...» (إش ٩: ٢ و٦). والسؤال: أين هي تلك النسور المتطلّعة والمتلهِّفة لتلَقِّي هذا الإعلان الإلهي الباهر؟ نعم، ربما كانوا قليلين حقًّا، ولكنهم موجودون، أولئك هم أصحاب القلوب الساهرة والشغوفة، التي تنتظر بصبرٍ وشوقٍ ورجاءٍ خلاص الله.

- أول أولئك النسور كانوا رعاة متبدِّين ساهرين على حراسة أغنامهم، متيقِّظين بكلِّ حرص في ظلام الليل وبرده، ليضمنوا سلامة قطعانهم؛ أولئك انفتحت أبواب السماء أمام أعينهم، وأشرق عليهم نور الأجناد السمائية، وبآذانهم المرهفة والمفتوحة والمستعدَّة استطاعوا أن يسمعوا ألحان البشارة المُفرحة بميلاد مخلص العالم، وطعام النسور الروحية المحيي في بيت لحم، وذلك بفم ملائكة الله مباشرة، فصدَّقوا الرسالة، والتهبت قلوبهم بتسبيح السمائيين، وهَبُّوا لساعتهم كنسور جائعة، ليُكحِّلوا أعينهم، ويشبعوا نفوسهم من غِنَى هذا المنظر السمائي البهيج المُعلَن لهم، فجاءوا مُسرعين إلى موضع مولود المذود (الذبيح الأعظم، والخبز الحيّ) الموهوب إلى العالم، فصاروا باكورة النسور، وأول الحضور لهذه الوليمة السمائية، وانطبق عليهم قول الكتاب المقدَّس: «... الَّذِينَ يُبَكِّرُونَ إِلَيَّ يَجِدُونَنِي» (أم ٨: ١٧)، وأيضًا: (انظر: لو ٢: ١٥ – ٢٠).
- النسور الثانية، هم نسور عابرة أتت من مشارق الأرض، رجالٌ مجوسٌ علماء عاشوا كلَّ حياتهم ناظرين نحو السماء مترقِّبين وفاحصين لنجومِ وكواكب الفضاء، لعلها تُنبئهم بأمرٍ مخفيٍّ عنهم. وربما تكون قد شغلتهم – ولو من خلال ضبابٍ – نبوة كبيرهم بلعام بن بعور عن الكوكب الخارج من يعقوب ليملك إلى الأبد، وعن ذلك يقول القديس أمبروسيوس: [لقد سبقوا فرأوا بروح النبوَّة خليقة جديدة فبحثوا عن هذا الإنسان الجديد لكي يخطبوا ودَّه... ومن ثمَّ فهموا أن هذا النجم يعني في نفس الوقت إلهًا وإنسانًا. فسجدوا للطفل بعد أن تيقَّنوا أنه هو بالذات الذي تشير إليه النُبوَّة][1]. لقد أدركت هذه النسور البعيدة قيمة هذا النجم الذي

(١) مجلة مرقس عدد يناير ٨٣ ص ٨.

رأوه، وتوسَّمت فيه رموزًا وأسرارًا عظيمة، لا يدرِكها إلا أصحاب القلوب الباحثة والمجتهدة والمشتاقة، لذلك لم يبخل الله عليهم بهذا الإعلان السمائي، فأرشَدهم بنجم الميلاد العجيب إلى حيث كان الصبيّ يسوع مع مريم أمه ويوسف، وإذ لم يريدوا أن يظهروا أمام المولود الملك فارغين (انظر مت٢:٢)، فقد أتوا بهداياهم وقدَّموها له، وسجدوا أمامه بكل وقار وإكرام، وشبعت نفوسهم بتحقق أغلى أمنياتهم في المجيء والسجود للملك العظيم، فكان لهم ما أرادوا.

- نموذج ثالث للنسور الجائعة لخبز الحياة، يتمثل في أولئك الأشخاص أصحاب الرجاء والإيمان الحيّ، الذين عاشوا حياتهم بالتقوى والإيمان الراسخ المترقِّب ظهور خلاص الله الآتي من السماء، على رأس هؤلاء يأتي أبونا إبراهيم الذي نظر بعين الإيمان هذا اليوم، يوم مجيء الفادي وخلاصه، فرأى وفرح حسب قول الرب يسوع نفسه عنه: «أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ» (يو ٨: ٥٦). وفي العهد الجديد يشهد الروح عن سمعان الشيخ أنه كان بارًا تقيًّا، وكان ينتظر تعزية إسرائيل والروح القدس كان عليه، ذاك وعَدَه الروح ألَّا يرى الموت قبل أن يعاين المسيح الرب – طعام الحياة الأبدية – فرآه وحمله على ذراعيه وبارك الله (انظر: لو٢:٢٥،٢٦). كذلك حنَّة بنت فنوئيل، التي وقفت تسبِّح الله وتتحدث عن هذا الفادي المولود، خبز الحياة الجديدة، وتكلَّمت عنه مع جميع المنتظرين فداءً في أورشليم (انظر لو٢:٣٨). كلُّ هؤلاء وغيرهم كانوا مثالًا لنفوس أولئك الأشخاص الذين تمسَّكوا بمواعيد الله ورأوها وحَيَّوْهَا، وشبعت أرواحهم بكمال تَحقُّقها ومعاينتها، مكافأة لهم نظير هذا الإيمان والحبِّ والثقة في مواعيد الله الأمينة.

- نموذج رابع للنسور التي اشتاقت وبحثت عن ينبوع حياتها، ومصدر شبعها، فلمَّا وجدته أمسكت به ولم تُرْخِه، من أمثلة هؤلاء: أندراوس الرسول الذي أسرع إلى أخيه بطرس الرسول، يستعجله لرؤية وتبعية الرب يسوع بقوله: «قَدْ وَجَدْنَا مَسِيَّا» (يو ١: ٤١)، كما نراها في دعوة فيلبس الرسول لنثنائيل قائلًا: «وَجَدْنَا الَّذِي كَتَبَ عَنْهُ مُوسَى فِي النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءُ يَسُوعَ ابْنَ يُوسُفَ الَّذِي مِنَ **النَّاصِرَةِ**...

تَعَالَ وَانْظُرْ» (يو ١: ٤٥، ٤٦). وهكذا في دعوة باقي التلاميذ، الذين أظهروا عظيم اشتياقهم، ولهفةَ قلوبهم المملوءة محبة نحو هذا المخلِّص والذبيح الأعظم الآتي إلى العالم، حتى إنهم أعلنوا هذا الإيمان والحبِّ للرب بقولهم له: «يَا رَبُّ، إِلَى مَنْ نَذْهَبُ؟ كَلاَمُ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ» (يو ٦: ٦٨). وأيضًا عملت مثلهم المرأة السامرية، بعدما عرفت المسيح مخلِّص العالم. فكل المجتهدين والساعين في البحث عن الشبع الحقيقي، هؤلاء أوصلهم يسوع لنور معرفته، وأشبعهم بجسده ودمه المحُيِيَّن، وأعطاهم عربون الملكوت باتحادهم به، لأن الحاجة هي إلى واحد.

ذبيحة الصليب: استعلانٌ منظور ودعوة للنسور:

قال الرب يسوع: «وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ» (يو ١٢: ٣٢). وقد تحقَّق هذا الأمر مع الرب نفسه حينما عُلِّق على خشبة الصليب، فكما في مثال الحية النُّحاسية التي رفعها موسى في البرية؛ والتي كان كلُّ من تطلَّع إليها نال الشفاء من لدغة الحية المميتة؛ هكذا أيضًا مع يسوع عندما ارتفع على الصليب واطئًا العالم ورئيسه، وسائدًا على كل سلطان فيه، حتى على الموت ذاته، صار لنا بذاته ذبيحة الخلاص، وطعام الحياة الأبدية لكل من رفع قلبه نحوه وتعلَّق به، وآمنَ بلاهوته وفدائه الذي صنعه لأجلنا. أولئك هم أصحاب القلب الثابت والإيمان الراسخ، النسور الروحية المجاهدة والناظرة إلى شبعها ونبع ارتوائها، والذين أدركوا بقوة إيمانهم أن هذه الذبيحة والجسد المُثخَن بالجراح على الصليب، هي بذاتها الحاملة كل مقادير حياتنا وخلاصنا وقيامتنا كلنا، من قِبَل قوة الألوهة الكامنة فيها، والمختفية عن أعين غير الفهماء و غير الحكماء، والنسور الروحية وحدها هي المستعدَّة كل حين أن تعطي حياتها من أجل الوصول والالتصاق والاتحاد الكامل بذاك الذبيح المصلوب فادي نفوسهم وأرواحهم.

الإفخارستيَّا، طعام أبناء الملكوت وغذاء النسور الروحية:

وعَدَ الرب يسوع تلاميذه، وكذا العالم أجمع قائلًا: «هَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ» (مت ٢٨: ٢٠)، وقدَّم للتلاميذ طعام الحياة الأبدية، جسده ودمه الكريمين عربونًا لهذا الوعد قائلًا: «اصْنَعُوا هذَا لِذِكْرِي» (لو٢٢:١٩). وهنا كرَّسَ لهم حقيقة حيَّة،

أنهم في كلِّ مرة سيتقدَّمون – كنسور روحية – للشركة والتناول من هذا الخبز وهذا الخمر، فإنهم سيعاينون حضورًا حيًّا، وشركة حقيقية في ذبيحة حيَّة ومُحييَّة، مثل يوم تقديمها الأول معهم. فهي شركة – ليس في طعام بائد كما المنُّ قديمًا – بل في طعامٍ باقٍ للحياة الأبدية، جسد ودم المسيح. بالاتحاد السري غير المنظور به، كإله حيّ قائم كأنه مذبوح (انظر: رؤ ٥: ٦)، إتمامًا لوعده الصادق بالوجود والحضور الدائم، وحلوله الفعلي بروحه القدوس على هذه الذبيحة غير الدموية حتى نهاية الدهور.

ولا شك أن الالتفاف حول هذه الوليمة السمائية – أعني مائدة الرب – هي بمثابة دعوة إلهية مجانية ومذهلة يُقدِّمها الرب لكل النسور الروحانية الخائفة اسمه القدوس، والمجاهدة للصعود والارتفاع معه نحو الجلجثة والصليب، لكي تفرح معه أيضًا بمجد قيامته المقدسة، فتشبع نفوسها بخلاصه الموهوب لها ولكل مشتاق ومؤمِن بأن خلاص الله قريب لمن يطلبه ويجاهد من أجله، وليس للكسالى والمتراخين وضعيفي الإيمان، وذلك حتى ينالوا باشتراكهم في مائدة الرب – الذي هو طعام النسور – الغفران والحياة الأبدية وميراث البنين في السموات.

****

دير القديس أنبا مقار

صدر حديثًا

مجلَّد مجلة مرقس عام ٢٠٢١م

يضمُّ أعداد المجلة من يناير – ديسمبر ٢٠٢١م (ما عدا شهرَي يوليو وأغسطس) ..... الثمن ١١٠ جنيه

****

دير القديس أنبا مقار

بتصريح سابق من الأب متى المسكين بالإعلان عن مشروع معونة الأيتام والفقراء (مشروع الملاك ميخائيل)، حيث يعول هذا المشروع منذ عام ٢٠٠٠ أكثر من ألفين من العائلات المُعدمة، يمكن تقديم التقدمات في رقم الحساب الآتي:

21.130.153

دير القديس أنبا مقار

بنك كريدي أجريكول مصر. فرع الميرغني

****